التاز وبانيهِ

ليس من تلك المباني بل جوّى في قلب عاملْ
نَحَتَ الجوهر متنًا والحواشي من جنادلْ
من حجار احكمت اشكا لها تلك الشمائلْ
يتجلّى في سناهُ مثل بدر في المنازلْ
او نفوس من ذكاء ا عقل باتت في هياكلْ
او فتاة ذات دلّ تتهادى في غلائلْ
اسفرتْ فالقلب مني بين وهْان وواهلْ
وبعيني خشوعٌ وارتجاف في المفاصلْ
وبانفاسي على وجـ ـهي تولّاني دلائلْ
ذلك التاز الذي فاقت بهِ الهندُ الاوائلْ

قال بعضهم "اذا بلغت مدينة اكرا في ليلة قمراء فحثّ الركاب الى التاز. ولو كان وصولك اليها في المزيع الاخير من الليل". وقال آخر "ان كل ما كُتب عن التاز منذ مئتين وخمسين سنة اي منذ بنائهِ الى الآن لا يفي بوصفهِ وستمضي مئتان وخمسون سنة اخرى قبل ان يقوم مَن يقوم بذلك". وقال القس اوروك في كتابهِ عن الهند "ما هو التاز" ثم اجاب بما ترجمتهُ "مدفن امرأة مدفن زوجة ملك عظيم مدفن زوجة هام بها زوجها مدفن لها ولهُ بناهُ اجابةً لطلبها لكي يدفَن فيهِ الى جانبها

"يمتاز التتار بتأنقهم في بناء مدافنهم فقد بنى كل ملك منهم مدفنًا لنفسهِ. والتاز من بناء شاه جهان حفيد السلطان جلال الدين محمد الملقّب باكبر اقامهُ لزوجتهِ ممتاز زماني ولنفسهِ

"على ميلين من المدينة باب كبير كأنهُ من بناء الجبارين يذهل الناظر اليهِ ويستحق ان تشدّ اليهِ الركاب من شاسع الاقطار فاذا مررت فيهِ رأيت امامك جنّة يانعة في ظل ظليل وماء نمير. سرو باسق وماء دافق ومنفرج امامهُ دكتان الواحدة فوق الاخرى السفلى من الحجر الاحمر علوها عشرون قدمًا واتساعها الف قدم في مثلها عرضًا والعليا من الرخام الابيض علوها خمس عشرة قدمًا واتساعها ثلاثمئة قدم في مثلها عرضًا وعلى زواياها الاربع اربع مآذن من الرخام. والتاز بينها قناطر وسيعة وقباب رفيعة تنظرها عن بعد فتصغرها ولكن لا تلبث ان تدنو منها حتى تراها تزيد فخامة ومهابة وجمالاً وجلالاً كأنها من تزاويق الخيال بل من يوت

وقد وجد الكاتب صورًا كتب عليها السلطان جهانجير والد شاه جهان في السنة التاسعة عشرة من ملكه انها من عمل الاستاذ منصور امهر مصوري عصره وفيها رسم رجال بلاطه وبعض الطيور الهندية وهي في غاية الاتقان وقد صنعت سنة ١٦٢٤ اي قبل بناء التاز بست سنوات وأطر ثلاث منها منقوشة نقشًا يماثل نقش التاز حتى ان من يراها ويرى التاز يثبت لهُ ان ناقشهُ فارسي لا اوربي او انهُ اتَّبع الاسلوب الفارسي لا الاسلوب الاوربي. ولعل رسوم التاز منقولة عن رسوم هذه الصور. اما الصنَّاع الذين كانوا يعملون تحت يد مهندسهِ فهنود كلهم على ما يظهر من اسمائهم وكانوا من اساتذة الفن لان اجرة الواحد منهم على ما في السجلات الهندية من مئتي ربية الى ثمانمئة ربية

وخلاصة ما تقدم ان باقي التاز الذي رسمهُ وشارف بناءهُ رجل فارسي يقال انَّ اسمهُ الاستاذ عيسى ولا يعرف من امرهِ غير ذلك

ثم انتقل الكاتب الى وصف التاز وقال انهُ حلية من الحلى وصورة عقلية تجسمت في الرخام والحجارة الكريمة واودر ابياتًا في وصفهِ للسر ادون ارنلد وهي التي ترجمناها ونظمناها في صدر هذه السطور. وختم مقالتهُ بما ترجمتهُ

ان ما ذكرهُ الشاعر هنا ليس تصوُّرًا عقليًّا استنبطتهُ المخيلة بل وصف حقيقة يدلُّ التاز عليها فان شاه جهان ومهندس التاز اراد ان يمثِّلا بهِ جمال ممتاز زماني وكمالها. والذين رأوهُ واتيقدوا بناءهُ يقولم ان فيهِ نحافة نسائية اصابوا كبد الحقيقة في قولم ومدحوهُ وهم يقصدون ذمهُ فان رسمهُ وبناءهُ ونقشهُ وزخرفتهُ كل ذلك مقصود بهِ ان يمثل تلك الغانية البديعة الجمال الذكية الفؤاد بل هو شخصها بجمالها ودلالها وقدها واعتدالها وهي لا تزال واقفة تتهادى على ضفة الجمنا يهبُّ عليها نسيم الصباح ويجللها نور الاصيل او هو دليل احترام الهند لجمال نساء الهند

هذا وقد بحثنا في العام الماضي عن مقياس الشهرة عند كتَّاب العرب فنظرنا في كتب الترجمات وجمعنا اسماء الذين يدور ذكرهم على الالسنة وتُعمر بهم اندية الادب فاذا هم الامراء والشعراء والفقهاء وعدد قليل من الاطباء وعلماء اللغة وليس بينهم تاجر او مهندس او مدير عمل او مستنبط صناعة كأن اسباب المعاش ودعائم العمران من سقط المتاع حتى لا يستحق اربابها ان يذكروا بين اعيان الامَّة . والظاهر ان هذا الشان طرأ على بلاد الهند ايضًا بعد وصول العرب اليها فكانت نتيجتهُ ان العمران الذي ورثوهُ لم يدم الاَّ مقدار ما قاوى مخالب الدهر وعناصر الانحلال. ولا يتعذَّر اكتشاف السبب الاكبر لذلك لان الذين تفخر الامم الاكبر في شن الغارات وتمزيق العبارات لا ينبغ منهم غير رجال السيف ورجال القلم